

معطيات الحجّ ومناسكه في رؤية الإمام

محمد سليمان

عنت لي - وأنا أهيب نفسي لكتابة شيء عن رؤية السيّد الإمام إلى فريضة الحجّ مناسك ومفاهيم .. وهل هي رؤية فريدة من نوعها أم أنها تكرار لغيرها من الرؤى؟ وهل كانت رؤاه تتسم بالجدية والارتقاء إلى مستوى تطبيقها العملي أم أنها مجرد رؤى لا غير؟ - عنت لي ملاحظات تتعلّق بالفريضة نفسها، فهذا المنسك المبارك بكلّ مفاصله أستطيع أن أقول عنه:

إنّه من أعظم العبادات - على عظمتها وقدرها - سعةً وشمولاً وثماراً ..
 ﴿ليشهدوا منافع لهم﴾^(١) ثمّ ﴿ويذكروا اسم الله في أيّام معلومات﴾^(٢) .. فهو ينطوي - إضافة إلى عبادة الله تعالى في الأيام المقرّرة، وما أعظمه من هدف! - على هدف آخر عظيم وخطير طالما اشرأبت إليه الأعناق، وتطاولت إليه الرقاب، وعاشتته النفوس أملاً عظيماً، وطموحاً كبيراً، وهدفاً مقدساً، وهو توحيد المسلمين شعوباً وقبائل بغضّ النظر عن مذاهبهم وقومياتهم .. وصهرها في بوتقة التوحيد، هذه العقيدة التي تدل على الواحد الأحد الفرد الصمد الذي ﴿لم يلد ولم

يولد * ولم يكن له كفواً أحد^(٣)، بعيداً عما يفرّق الكلم، ويوغر الصدور، ويضعف الهمم ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾^(٤) وترفعاً عن التكاثر في الأموال والأَنْفُسِ والأنساب.. ليبقى ميزان التفاضل بينهم هو التقوى لا غير «لافضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى»، هذا النص النبوي الذي لا يقبل الجدل والتأويل قبس من نور كتاب الله تعالى إذ صرّح بكلّ قوّة: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَاكُمْ﴾^(٥) وقد جسّد هذا الهدف مظاهر متعدّدة في هذه الفريضة يلمسها كلّ واحد منا، كما تكشف هذه المظاهر هي الأخرى عما تنطوي عليه فريضة الحج، هذه المناسبة المباركة، من قيم عليا ومبادئ كبرى وأهداف سامية قلّ نظيرها في أي عبادة وفي أي شعيرة من الشعائر السماوية الأخرى على قدرها وعظمتها وسموها، فضلاً عما يشرّعه الآخرون ويستنونه ويهيئونه من مناسبات..

ومن تلك المظاهر التي صهرت في وهج بوتقة عقيدة الواحد الأحد: وقوف الحجاج في جمعهم العظيم وحشدهم الهائل وفي كتلهم البشرية المتراسة يجمعها هدفٌ واحدٌ وزيّ واحدٌ خالٍ من التفاخر والتعاضم والاستعلاء، ومكانٌ واحدٌ في عرفات وفي المزدلفة ومنى، ثم البيت المبارك والصفاء والمروة، وفي مناسك واحدة في إحرامهم وطوافهم وفي سعيهم.. إضافةً إلى تواجدهم في أماكن أخرى من أضرحة الأولياء ومراقد الصالحين، ومعالم الرسالة وآثار النبوة..

حقاً إنّها صورة رائعة مهيبّة تحكي لنا قيام مجتمع مسلم على ثوابت وأسس متينة من الحبّ والتعاطف والتسامح والتعاون والتآزر.. بعيداً عما يلوّث النفوس من رفت وفسوق وجدال ﴿فلارفت ولا فسوق ولا جدال في الحج﴾^(٦)، حتى تطهر النفوس والأرواح، وحتى تصان أجسادنا وأرواحنا وعقولنا من العبث والدنس، فتصل مناسكنا مع طهارة نفوسنا إلى ذروة كمالها الروحي والعبادي.. «من حجّ فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمّه» فكلّ شيء في هذا الحرم المبارك ينبغي أن يكون في طهر وأمن وسلام.. نموذجاً رائعاً تتجلّى فيه المحبّة والرحمة..

أساس المفاهيم الإسلامية ..

فإذا نظرنا إلى هكذا تجمع عظيم فإننا نجد فيه ما يشد من عزائنا، ويقوي إيماننا ويحقق آمالنا بإمكان قيام مجتمع مسلم كبير تذوب فيه الفوارق والطبقات، وتسود فيه بدل ذلك كله المحبة والوآم والاخوة والإلفة والعزة والكرامة في ظل إله عادل كريم رحيم، وتعاليم رسول صادق أمين وعلى خلق عظيم .
إنها حقاً تجربة مصغرة رائعة لدولة كريمة يعز بها الإسلام وأهله ويذل بها النفاق وأهله، ومجتمع نبيل موحد طالما كان هدفاً للإسلام، وأنشودة يرددها المسلمون الثوار الواعون عبر كفاحهم المرير، وجهادهم الدؤوب، وتضحياتهم الجسيمة .

إن الحج لا يمكن أن يحقق ذلك الهدف التوحيدي ولا أظنه ينهض بذلك إذا لم يؤد إلا بصورته الإبراهيمية وهو ما سعى إليه الإمام . ولا يمكن فهم هذه الفريضة خارج تأريخها وبعيداً عن تشريعها وأهدافه .. ويجب أن تكون مواكبة لحركة الأنبياء والصالحين، وحرّة أي خالية من أي قيد فيما عدا قيود الشريعة وضوابطها . فهي فريضة تتجه نحو تحقيق هدف إلهي، وهذا لا يتم إلا عبر ما تريده السماء لا ما نريده نحن .

هذا مضافاً إلى أنها شعيرة يلتقي فيها - إضافة إلى أمور أخرى - جانبان رئيسيان: الجانب الروحي والجانب السياسي، فخلوها من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يعني غياب الريادة للإسلام وتغيباً للجوانب الرسالية وللنموذج الإبراهيمي المحمدي الأصيل، وعندها يكون الحج ليس مخالفاً للشرع فحسب، بل يكون معاكساً لحركة الحج التاريخية .

فيجب أن نعرف أن فريضة الحج كالإسلام نفسه يتقاذفها عاملان أو خطّان

مهمّان:

خط الرسالة الأصيل.

والخط المنحرف.

فإذا ما ابتعدنا عن الخط الأول خطوةً فإننا نقرب من الخط الثاني بقدرها وهكذا، فأى تنازل عن قيم الخط الأول معناه الانضمام إلى تبني ما يريده الخط الثاني، وتدرجياً نصل إلى نتيجة لا تخفى على ذي عينين، أننا نؤدّي الفريضة لا بخطها المرسوم لها من قبل السماء الذي يمثله الخط الأول، وإنما بشكل آخر يبتعد كثيراً عن روح الشريعة ومقاصدها وأهدافها، إنه شكل مفرغ من كل شيء ويبقى مجرد إطار عام لا غير.

وبدلاً من أن يقود الحج الإنسان إلى ما فيه خيره، ويقتطف ثماره ويستحصل منافعه كما أرادته السماء، راح الإنسان يرسم للحج منهجه، وبالتالي يجعله وسيلة لتحقيق ما يبتغيه من طموحات دنيوية ومصالح نفعية قد يصبّ أغلبها لصالح المستكبرين والطغاة، ولم يكن للمستضعفين فيه نصيب يذكر.. إنما هو بخدمة الحكام وأتباعهم وأنظمتهم. وبدلاً من أن تكون علاقة تعبدية واعية أي علاقة مبنية على تحرك واضح مسؤول نحو الله تعالى ومنهجه، تكون علاقة غير واعية تنتج بالتالي تحركاً غير مسؤول، بل هو تحرك ميّت لا غير.

ما أراده السيّد الإمام:

لأجل ذلك كلّه ولغيره كان عنصر البراءة الذي نادى بها السيّد الإمام إلزاماً بما تريده الشريعة الأصلية، أساساً متيناً لهذه الفريضة، وروحاً وثابة لها ولديمومتها وبقائها عبادةً حيّةً تؤتي أكلها في حياة الأمة، وتنمي مسارها، وتقوي عزيمتها، وبالتالي تحول دون سقوطها بشباك الظلمة. إضافةً إلى هذا كلّه فإن البراءة تذكير للأمة بالحج الإبراهيمي المحمّدي الأصيل، وهذا عامل مهم بل رئيسي في شدّة الأمة بتاريخها وأمجادها وفكرها الأصيل، والوقوف عنده وعدم تجاوزه أو التخلف عنه.

فعنصر البراءة - حقاً - لم يعد بعداً أجنبياً عن الفريضة أو شيئاً دخيلاً عليها

وإنما هو عنصر الوقاية وصمّ الأمان، وعنصر الثبات والاستقامة فيها.

من هنا نهض السيّد الإمام الخميني ليعيد لهذه الفريضة صفاءها وجوهرها وتأريخها المشرق، وأن يبعتها عن كونها ألقافاً جوفاء، وحركات تؤدّي لا علاقة لها وصعاب وعي الأُمّة الشرع المقتضى إنقاذه.

لقد كان هدفها ومفاسل صياغتها تحريف تلك الروح الإلهية التي روّجها بحجّها العظيمة لبثّ روح الإيثار، ورباط المسلمين على راسخ عقيدة، والتدهور، لقد ثورة تطيح بها من روح من سنسنة، وأيضاً أرادها أن تتجزّج طلقات الأُمّة نحو البناء والجهاد، كما أرادها وسيلة للإطاحة بغطرسة وانحراف الحكّام، ومنقذة من هيمنتهم، لأن تكون وسيلة مهادنة لهم وللوضع القائم وتبريراً للأمر الواقع.

كان يقول: «حَوْلُوا وبالتنسيق مع الزوار الذين جاؤوا من أنحاء العالم مركز مكة المكرمة إلى مركز رفض للظلم والظالمين، حيث يعتبر هذا الأمر أحد أسرار الحج، وأن الله غني عن التلبية وعبادات البشر»^(٧).

وانظره يقول: من المسلم أنّ حجّاً دون روح ودون حركة ونهوض، وحجّاً دون



براءة، وحباً دون وحدة، وحباً لا ينتج هدماً للكفر والشرك، ليس حباً.
دور القرآن:

وراح أيضاً يبين ما يجب على المسلمين من السعي لأجل تجديد حياة القرآن ودوره العظيم، وإعادته ثانية إلى ساحة حياتهم، بكل محاورها: يقول سماحته:

إني أذكر الحجاج المحترمين أن لا يغفلوا في جميع المواقف المعظمة وطيلة فترة سفرهم إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة عن الاستئناس بالقرآن الكريم... لأن كل ما عند المسلمين وما سيكون، على طول امتداد التاريخ الماضي وكذلك في المستقبل، إنما هو من بركات هذا الكتاب المقدس. وراح سماحته يوصي العلماء والمفكرين بأن يستفيدوا من هذه الفرصة، ولا يغفلوا عن هذا الكتاب المقدس وهو ﴿تبياناً لكل شيء﴾^(٨).. هذا الكتاب السماوي الإلهي الذي هو الصورة العينية والكتيبة لجميع الأسماء والصفات والآيات البيّنات..

وفي رفضه لتحريف القرآن وهجرانه يقول سماحته:

.. والآن وهو في صورته المدونة بعد نزوله بلسان الوحي وصلنا دون نقص أو زيادة حرف، معاذ الله أن يصبح مهجوراً.. ثم راح يوصي المخلصين من أبناء الإسلام: بأن ينهضوا ويخلصوا القرآن الكريم من شرّ الجاهلين المتنسكين والعلماء المتهتكين.. وعلى المحققين المؤمنين بالإسلام أن يبيّنوا التفاسير الصحيحة للقرآن والواقعية لفلسفة الحج، ويرموا في البحر كل نسيج خرافات وادعاءات علماء البلاط. وغير هذا الكثير وهو ما سنجدّه مفصلاً في كلماته وأحاديثه عن أبعاد فريضة الحج وعن مفاصلها ومعطياتها المختلفة.

رعايته للوحدة الإسلامية

أكد الإمام في كل كلماته ووصاياها بل وأمره للحجاج جميعاً أن يطوفوا حول الكعبة المباركة «بالطواف المتعارف على النحو الذي يقوم به جميع الحجاج، وأن

يحترزوا من الأعمال التي يفعلها الأشخاص الجاهلون..

كما أنه أكد على الحجّاج الشيعة: أن يقفوا الوقوفين مع إخوانهم المسلمين من المذاهب الأخرى، فإن اتباع قضاة أهل السنة لازم ومبرئ للذمة. حتّى وإن قطع بالخلاف.

كما راح يبيّن لشيعة سائر البلدان ضرورة بل «وجوب الاحتراز من الأعمال الجاهلة التي تؤدّي لتفرقة المسلمين».

كما أكد على أنه «ينبغي الحضور بين جماعات أهل السنة» بل «واجتناب الصلاة جماعة في المنازل».

وأما استعمال مكبرات الصوت بشكل يخالف المتعارف فقد أكد سماحته على وجوب اجتناب ذلك.

ولم يكتف بذلك كلّ بل راح يلاحق في فتاويه بعض الشيعة، في أن «يجتنبوا الارتقاء على القبور المطهرة»، بل واجتناب كل «الأعمال التي تكون أحياناً مخالفة للشرع الحنيف».

ولم يكتف سماحته عند الفتاوى، بل راح يحذّر - حرصاً منه على وحدة المسلمين - من التفرقة وأصحابها والمروّجين لها، يقول سماحته:

في موسم الحج يمكن أن يقوم بعض الأشخاص حتى من المعمّمين بزرع بذور الخلافات بين الشيعة والسنة، ويعملوا على اتساع هذه الظاهرة فيصدقهم بعض السذج، ويكونوا سبباً للتفرقة والفساد.

يجب على الاخوة والأخوات من كلتا الفرقتين أن يكونوا حذرين، وليعلموا أنّ هؤلاء أصحاب القلوب العمياء يريدون باسم الإسلام والقرآن المجيد والسنة النبوية اقتلاع الإسلام والقرآن والسنة من بين المسلمين أو على الأقل يسبّرون باتجاه انحرافه... إنّ التكليف الإلهي للحجّاج في هذا المقطع الزمني هو استنكار أي كلام يشمّون من خلاله رائحة الخلاف بين صفوف المسلمين، وأن يعلموا أنّ تكليفهم في المواقف

الكريمة هو البراءة من الكفار وأسيادهم حتى يكون حجهم حجاً إبراهيمياً وحجاً محمدياً، وإلا كانوا مصداقاً لـ «ما أكثر الضجيج وأقل الحجيج».

وواصل الإمام حديثه بقوله:

ويجب أن تعلموا أنّ الطريق الأساس في ظل وحدة المسلمين، .. هو في قطع يد القوى العظمى عن الدول الإسلامية، وتطبيق ثمار المواقف الكريمة والمشاهد المشرفة عملياً في بلادهم والاستفادة منها في حياتهم.

تشديده على إعلان البراءة من المشركين

﴿وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أنّ الله بريء من

المشركين ورسوله..﴾^(٩).

فبعد أن يصرح السيد الإمام بأن إعلان البراءة من المشركين يعدّ من الأركان التوحيدية والواجبات السياسية للحج؛ وأنّ حقيقة الدين هي أن تحبّ الحق وتبغض الباطل؛ لذا يجب أن تنظّم المسيرات والمظاهرات الكبرى في أيام الحج بكل صلابة وعظمة يقول:

على الحجّاج أن يطلقوا بجوار بيت التوحيد صرخة البراءة من المشركين والملحدّين والمستكبرين وعلى رأسهم أمريكا المجرمة، ولا يغفلوا عن إظهار حقدهم وسخطهم على أعداء الله وأعداء خلقه، فهل تحقيق الدين هو غير إعلان المحبة والإخلاص للحق وإعلان الغضب والبراءة من الباطل؟

فحاشا أن يتحقّق إخلاص الموحّدين في حبّهم بغير إظهار السخط على المشركين والمنافقين، وأي بيت هو أفضل من الكعبة البيت الآمن والطاهر، بيت الناس؛ لنبذ كلّ أشكال الظلم والعدوان والاستغلال والرقّ والدناءة والإنسانية قولاً وفعلاً، وتحطيم أصنام الآلهة تجديداً لميثاقه: ﴿ألست بربّكم﴾ وذلك إحياءً لذكرى أهم وأكبر حركة سياسية للرسول التي عبّر عنها القرآن الكريم بقوله: ﴿وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحجّ الأكبر..﴾

ذلك أن سنة الرسول وإعلان البراءة لن يلبيا؛ لأن إعلان البراءة لا يقتصر فقط على أيام الحج. إذ على المسلمين أن يملأوا أجواء العالم بالمحبة والعشق للبارئ. وبالغض والاستياء والرفض لأعداء الله، ويجب ألا يصغوا إلى وسوسة الخنّاسين وشبهات

المشككين والتشكيكيات التي تستهدف المبدأ والرسول والمؤمنين، والتوحيد

المقدس والسنة النبوية. ذلك وسبب من أسباب ضعف المسلمين في مواجهة أعداء

الإسلام وتحويلهم إلى أعداء الإسلام، وتحويلهم إلى أعداء الإسلام

وتحليل وتحويلهم إلى أعداء الإسلام، وتحويلهم إلى أعداء الإسلام

المسلمين وتحويلهم إلى أعداء الإسلام، وتحويلهم إلى أعداء الإسلام

إذ يجب على المسلمين أن يملأوا أجواء العالم بالمحبة والعشق للبارئ. وبالغض

والاستياء والرفض لأعداء الله، ويجب ألا يصغوا إلى وسوسة الخنّاسين وشبهات

المشككين والتشكيكيات التي تستهدف المبدأ والرسول والمؤمنين، والتوحيد

المقدس والسنة النبوية. ذلك وسبب من أسباب ضعف المسلمين في مواجهة أعداء

الإسلام وتحويلهم إلى أعداء الإسلام، وتحويلهم إلى أعداء الإسلام

المسلمين وتحويلهم إلى أعداء الإسلام، وتحويلهم إلى أعداء الإسلام

إذ يجب على المسلمين أن يملأوا أجواء العالم بالمحبة والعشق للبارئ. وبالغض

والاستياء والرفض لأعداء الله، ويجب ألا يصغوا إلى وسوسة الخنّاسين وشبهات

المشككين والتشكيكيات التي تستهدف المبدأ والرسول والمؤمنين، والتوحيد

المقدس والسنة النبوية. ذلك وسبب من أسباب ضعف المسلمين في مواجهة أعداء

الإسلام وتحويلهم إلى أعداء الإسلام، وتحويلهم إلى أعداء الإسلام

المسلمين وتحويلهم إلى أعداء الإسلام، وتحويلهم إلى أعداء الإسلام

إذ يجب على المسلمين أن يملأوا أجواء العالم بالمحبة والعشق للبارئ. وبالغض

والاستياء والرفض لأعداء الله، ويجب ألا يصغوا إلى وسوسة الخنّاسين وشبهات

المشككين والتشكيكيات التي تستهدف المبدأ والرسول والمؤمنين، والتوحيد

المقدس والسنة النبوية. ذلك وسبب من أسباب ضعف المسلمين في مواجهة أعداء

الإسلام وتحويلهم إلى أعداء الإسلام، وتحويلهم إلى أعداء الإسلام

المسلمين وتحويلهم إلى أعداء الإسلام، وتحويلهم إلى أعداء الإسلام

إذ يجب على المسلمين أن يملأوا أجواء العالم بالمحبة والعشق للبارئ. وبالغض

والاستياء والرفض لأعداء الله، ويجب ألا يصغوا إلى وسوسة الخنّاسين وشبهات



لنا الإسلام. وإنَّ البراءة من المشركين هي من وظائف الحجِّ السياسية وبدونها لا يعتبر حجّاً حجّاً.

إنَّ صرخة البراءة من المشركين في مراسم الحج وهي صرخة سياسية -عبادية قد أمر بها رسول الله ﷺ، لذا يجب أن نقول لذلك المعمم العميل الذي يرى أن شعار الموت لأمريكا وإسرائيل والاتحاد السوفياتي خلاف الإسلام، هل التأسّي برسول الله، وأتباع أوامر الله تعالى خلاف مراسم الحجِّ؟ فهل أنت وأمثالك أيها المعمم الأمريكي تخطئ فعل رسول الله ﷺ وتعارض أوامر الله؟ وهل ترى أن التأسّي بذلك الرسول العظيم وطاعة أوامر الحق تعالى مخالفة لذلك؟ وهل تتناسى أوامر الله ورسوله من أجل مصالحك ومنافعك الدنيوية؟ وهل تعتبر أن البراءة من أعداء الإسلام واللعنة عليهم وعلى محاربي وظالمي المسلمين كفراً؟

إنَّ صرخة البراءة من المشركين لم تختص بزمان خاص. هذا دستور خالد، وإن انقرض المشركون من الحجاز «فنهضة الناس» ليست مختصة بزمان بل هي دستور كل زمان ومكان. وفي هذا التجمّع البشري العام تعتبر سنوياً من جملة العبادات المهمة الخالدة إلى الأبد.

وينبغي على حجّاج بيت الله الحرام أن يطلقوا بقوة صرخة البراءة من الظالمين في هذا التجمّع العام والسيل البشري الهادر... حول المسجد الحرام - مركز ثقل الإسلام ومهبط ملائكة الله ومحل نزول الوحي - في سبيل إحياء مراسم الحج العبادية - السياسية ليقوموا بتكليفهم الإلهي والقرآني، ويعلنوا ويطلقوا صرخة البراءة من المشركين التي نفّذها خاتم الأنبياء رسول الله ﷺ بواسطة مولانا علي بن أبي طالب عليه السلام في الحج الأكبر.

أهداف البراءة من المشركين:

إنَّ للبراءة - وهي صرخة جميع الشعوب - أهدافاً كثيرة ومنافع عظيمة، منها كما يقول السيد الإمام:

«وإذا ما أعلن ممثلو المليار مسلم بالشكل والمضمون براءتهم من المعتدين على

حقوق المظلومين والدول الإسلامية وطالبوا بقطع أيديهم سوف لن تتمكن أي قوة من الوقوف بوجههم ومقاومتهم...

هي صرخة مظلومي العالم الإسلامي والشعوب التي تزرع تحت سلطة قوى الجناة، وإيقاظ النائمين والساكتين أمام الجبابرة...

إن صرخة براءتنا هي صرخة الشعوب المسلمة في أفريقيا. صرخة إخواننا وأخواتنا في الدين الذين يكتون بسياط ظلم الظالمين العنصريين بسبب لونهم الأسود.

إن صرخة براءتنا هي صرخة الشعبين اللبناني والفلسطيني، وجميع الشعوب والبلدان الأخرى التي تنظر إليها القوتان العظميان الشرقية والغربية، خاصة أمريكا وإسرائيل بعين الطمع.. إن صرخة براءتنا هي صرخة جميع الذين لم يقدرُوا على تحمّل تفرعن أمريكا وتواجدها السلطوي.

إن صرخة براءتنا هي صرخة الدفاع عن العقيدة والكرامات والنواميس، صرخة الدفاع عن الثروات. إنها صرخة المتألمين من الشعوب التي مزقت قلوبها خناجر الكفر والنفاق. صرخة براءتنا هي صرخة الفقراء والجياح والمحرومين والمعدمين والحفاة الذين نهب الجشعون والقراصنة الدوليون ما حصلوا عليه بعرق جبينهم وتعب ليلهم ونهارهم، أولئك الذين امتصوا دماء قلوب الشعوب الفقيرة والفلاحين والعمّال والكادحين باسم الرأسمالية والاشتراكية والشيوعية.

فلسفة الحجّ

وقد بين سبب آلام ومشاكل العالم الإسلامي أنّهم لم يدركوا فلسفة ومعنى هذه العبادات وفلسفتها وأسرارها، «وما خلقت الجنّ والإنس إلا ليعبدون»، يقول ﷻ:

إنّ من أكبر مصائب وآلام المجتمعات الإسلامية أنّهم لم يدركوا حتى الآن الفلسفة الواقعية للأحكام الإلهية، والحجّ مع أهمية سرّه وعظمته ما زال عبارة عن عبادة جافة وحركة لا فائدة منها وغير مثمرة، وإن إحدى الوظائف الكبيرة للمسلمين هي متابعة هذا

الواقع ، ما هو الحجّ؟ ولماذا على الإنسان أن يصرف قسماً من إمكاناته المادية والمعنوية لأجل القيام بهذا التكليف؟

والشيء الوحيد الذي يُقال عن فلسفة الحج من هؤلاء الجاهلين أو المحللين المغرضين النفعيين هو أن الحج عبارة عن عبادة جماعية ورحلة سياحية . وما شأن الحج في كيف يجب أن نعيش وكيف يجب أن نقاوم؟ وعلى أي نحو يجب الوقوف في مواجهة العالم الرأسمالي والشيوعي؟ ما شأن الحج في كيفية استرداد المسلمين والمحرومين لحقوقهم من الظالمين؟ ما شأن الحج فيما ينبغي فعله لنفكر بحلّ ما بخصوص الضغوطات الروحية والجسدية على المسلمين؟ ما شأن الحج فيما يجب فعله ليظهر المسلمون أنفسهم كقوة كبيرة وقدرة في العالم الثالث؟ ما شأن الحج في كيف يثور المسلمون على الحكومات المرتبطة والعميلة؟ فهل الحجّ هو سفر سياحي لأجل رؤية القبلة والمدينة المنورة فقط؟

وهنا راح سماحته يرسم أهداف وفلسفة الحجّ ومنافعه فيقول: إن الحجّ هو للتقرّب واتّصال الإنسان بصاحب البيت ، وأن الحج ليس ألقاظاً وحركات وأعمالاً فلن يصل الإنسان إلى الله بالكلام والألفاظ والحركات الجامدة. الحج هو مركز المعارف الإلهية التي تنبثق منها مضامين السياسة الإسلامية التي يجب البحث والتفتيش عنها في جميع زوايا الحياة.

وهناك إرشادات أخرى ووصايا تفضّل بها سماحته للحجّاج ليبين فيها فلسفة كلّ عمل يؤدّونه وكلّ منسك يتواجدون عنده .

وكانت وصاياه تنبع من نفس اتصفت بالطهر والنقاء ، وبثها لجميع الحجّاج بكلّ صدق وإخلاص ، وأكّدها في كلّ كلماته وخطبه فما ترى كلمة له أو خطبة إلا ورأيته يوصي وينصح الحجّاج للاستفادة من هذه الأماكن المقدّسة والمواقف الشريفة:

الطواف:

وإنَّ الطواف حول الكعبة المشرفة يعني أنَّ الإنسان لن يطوف لغير الله .
وأثناء الطواف في حرم الله حيث يتجلَّى العشق الإلهي ، خلّوا قلوبكم من الآخرين ،
وطهّروا أرواحكم من أي خوف لغير الله .

الحجر الأسود:

وحين تلمسون الحجر الأسود أعقدوا البيعة مع الله أن تكونوا أعداءً لأعداء الله
ورسوله والصالحين والأبرار . ومطيعين وعبيداً له أينما كنتم وكيفما كنتم . ولا تعنوا
رؤوسكم واطردوا الخوف من قلوبكم ، واعلموا أنَّ أعداء الله وعلى رأسهم الشيطان الأكبر
جناء ، وإن كانوا متفوقين في قتل البشر وفي جرائمهم وجنایاتهم .

الصفاء والمروة:

أثناء سعيكم بين الصفا والمروة اسعوا سعي من يريد الوصول إلى المحبوب حتى
إذا ما وجدتموه هانت كلّ الأمور الدنيوية ، وتنتهي كلّ الشكوك والترددات ، وتزول كلّ
المخاوف والحبائل الشيطانية ، وتزول كلّ الارتباطات القلبية المادية ، وتزدهر الحرية
وتنكسر القيود الشيطانية والطاغوتية التي أسرت عباد الله .

المشعر وعرفات:

سيروا إلى المشعر الحرام وعرفات وأنتم في حالة إحساس وعرفان ، وكونوا في أي
موقف مطمئني القلب لوعد الله الحق بإقامة حكم المستضعفين ، وبسكون وهدوء فكروا
بآيات الله الحق ، وفكّروا بتخليص المحرومين والمستضعفين من براثن الاستكبار
العالمي ، واطلبوا من الحقّ تعالى في تلك المواقف الكريمة تحقيق سُبُل النجاة .
منى:

عندما تذهبون إلى منى اطلبوا هناك أن تتحقّق الآمال الحقّة حيث التضحية هناك
بأثمن وأحبّ شيء في طريق المحبوب المطلق . واعلموا أنه ما لم تتجاوزوا هذه الرغبات ،
التي أعلاها حبّ النفس وحبّ الدنيا التابع لها ، فسوف لن تصلوا إلى المحبوب المطلق .

الرجم:

وأنتم عندما ترجمون عاهدوا الله أن تقتلعوا شياطين الإنس والقوى العظمية من البلاد الإسلامية.. تبرأوا من الأصنام الكبيرة والصغيرة والطواغيت وعملائهم وأزلامهم، حيث إن الله ومحبيه تبرأوا منهم، وإن جميع أحرار العالم بريئون منهم. ارجموا الشيطان واطردوا الشيطان من أنفسكم، وكزروا رجم الشيطان في مواقع مختلفة بناءً على الأوامر الإلهية؛ لدفع شر الشياطين وأبنائهم عنكم. في هذا السفر الإلهي الذي تذهبون إليه وترجمون فيه الشيطان، إذا ما كنتم لا سمح الله من جنود الشيطان سترجمون أنفسكم أيضاً، يجب أن تكونوا فيه رحمانيين وأن تصبحوا رحمانيين، حتى يكون رجمكم رجم أتباع الرحمن ورجم جنود الرحمن الشيطان.

ومن وصاياها العامة:

أنتم تقفون في تلك المواقف والمواضع الكريمة، معاذ الله أن يتلوّث وقوفكم بشيء خلاف الشرع، أو يتلوّث بالمعصية، ففضلاً عن إراقة ماء الوجه أمام الله تسقط كرامة الإسلام في الدنيا، اليوم كرامة الإسلام متقومة بوجودكم، أنتم الذين تذهبون جماعات جماعات إلى تلك المواقف الكريمة ويشاهدكم سائر المسلمين. ظهر لنا إذن أن الحجّ الذي سعى له سيدنا طيلة حياته قبل انتصار الثورة الإسلامية وبعدها هو الحجّ التوحيدي الخالص، البعيد عن الشوائب والتلوّث ومناهج الظالمين والمنحرفين الذين سعوا لأن تكون هذه الفريضة كما أرادوه لها، وأن يكون أداؤها بشكل يدرّ عليهم بالنفع، وتكريسها بما يثبت أنظمتهم ومصالحهم..

إنّ السيد الإمام كان صادقاً مع آرائه ونظراته لهذه الفريضة وهي تنسجم بل هي التطبيق الفعلي لأحكام الحجّ ومفاهيمه حتى يؤتي ثماره ومنافعه. حقاً إنّها رؤية تتسم بالفراة من حيث إعلانها بعد سنين عجاف طويلة مرّت

على المنهج المتبع في أداء هذه الفريضة ، ومن حيث إنَّ الحجاج والمسلمين عامة قد تعودوا على نمط معين موروث لأدائها ، ومن حيث سعي الإمام الجاد لتطبيق رؤاه وتفانيه في الدفاع عنها والوقوف بقوة ضد كل من يريد العبث بمناسك هذه الفريضة وأهدافها أو تسخيرها لمنافعه .

الهوامش :

- (١) الحج : ٢٨ .
- (٢) الحج : ٢٨ .
- (٣) الإخلاص : ٣ - ٤ .
- (٤) الأنفال : ٤٦ .
- (٥) الحجرات : ١٣ .
- (٦) البقرة : ١٩٧ .
- (٧) الحج في كلام الإمام : ٩٣ .
- (٨) النحل : ٨٩ .
- (٩) التوبة : ٣ .